عوني فارس*

ملامح من الحياة الثقافية والتعليمية للأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال في العقد الأخير

تناقش هذه المقالة التي كُتبت قبل إضراب الأسرى الأخير ملامح من المشهدين الثقافي والتعليمي داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي في الفترة ما بين سنتَي ٢٠٠٠ و٢٠١٠، مع خلفية تاريخية تبيّن نضالات الأسرى، كما تشير إلى أن قمع الثقافة كان واحداً من سياسات إدارات سجون الاحتلال، ذلك بأن الحالة الثقافية تشكل أداة أساسية لمقاومة الأسير. وفي المقابل، تُظهر المقالة كيف حافظ الأسرى الفلسطينيون على المعالم الرئيسية لحياة ثقافية وتعليمية داخل الأسر، وكيف أنتجوا وسائلهم الخاصة لإبقاء سجون الاحتلال ملأى بالحياة الثقافية، فتُعدد أشكال النشاطات الثقافية والتعليمية اليومية والجماعية والفردية. ويناقش الكاتب ما حملته الألفية الجديدة من تغيرات سياسية وتكنولوجية أثّرت في المشهدين الثقافي والتعليمي داخل السجون مدّاً وجزراً.

النضال الثقافي في سجون الاحتلال الإسرائيلي: مقدمة تاريخية

يُعتبر المشهد الثقافي داخل سجون الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها قبل عدة عقود حتى يومنا هذا. وقد برزت حاجة الأسرى إلى بلورة أشكال خاصة بالممارسة الثقافية اليومية منذ بدايات نشوء الحركة الأسيرة، فسارعوا إلى تشكيل النواة الأولى لحراك ثقافي واسع شمل مختلف عناصر الأطر والفصائل، وتطور بالتوازي مع الإنجازات الحياتية الأُخرى التي حققها الأسرى بفعل نضالهم المتواصل.

وأدت عدة عوامل دوراً مركزياً في دفع روَّاد الحركة الأسيرة الأوائل إلى إحداث إطار ثقافي يعبّر عن ثقافة الأسرى وانتماءاتهم الفكرية والسياسية،[1] ويأتي في مقدم تلك العوامل رفض الأسرى خطة الاحتلال القائمة على تجهيلهم ثقافياً وزعزعة انتماءاتهم الفكرية والثقافية والعمل على إحباطهم، فضلاً عن حاجة الأسرى إلى ملء الفراغ الناجم عن اعتقالهم والاستفادة من الوقت، واهتمامهم بنشر الوعي التنظيمي

* كاتب وصحافي فلسطيني.

والتعبئة الفكرية، وخصوصاً مع ارتفاع وتيرة النقاشات الفكرية والسياسية بين مختلف التيارات الفلسطينية داخل السجون.[٢]

البدايات

تُعتبر مرحلة سبعينيات القرن الماضي من أهم المراحل التي مرت بها التجربة الاعتقالية على مر عقود،[٣] لأنها شهدت ميلاد مؤسسة الأسرى وإتمام بناء الوضع الداخلي للحركة الأسيرة؛ وقد بقي تأثير هذا البناء في الحياة الاعتقالية، بما فيها الحياة الثقافية، حتى يومنا هذا.[٤]

وعمدت إدارات سجون الاحتلال منذ بداية سبعينيات القرن الماضي إلى منع مختلف أشكال النشاطات الثقافية، وحرمت الأسرى امتلاك ما يمكّنهم من مزاولة الحد الأدنى منها، فكانوا ممنوعين من امتلاك الأقلام والأوراق والكتب، وكان مجرد اكتشاف برية قلم رصاص كفيلة بإنزال أشد العقوبات ضدهم.[٥]

وفي المقابل، شرع الأسرى في تنفيذ خطوات نضالية ضد سياسات التجهيل التي اعتمدتها إدارات السجون، فتمكنوا من "تهريب" بعض أقلام الرصاص، وبدأوا بمزاولة أولى نشاطاتهم الثقافية. ويروي الأسير المحرر عبد الرحيم أمين جابر، مستذكراً تلك المرحلة، فيقول: "كنت أقوم بتهريب قطع الأوراق التي كنت أكتب عليها جزءاً من يومياتي. كنت أهرّبها مع الأهل خلال الزيارة الشهرية. أمَّا قطع الورق التي كنت أستعملها فهي عبارة عن أوراق أغلفة اللبن والزبدة التي كانت تُصرف لنا في وجبات الطعام، كنت أقوم بغسلها وتنشيفها بالهواء واستخدامها للكتابة، وأدوّن عليها الأحداث اليومية داخل المعتقل [....] كنت أكتب هذه الأحداث للتسلية والاحتفاظ بها كمذكرات. لكن بعد إلحاح الأصدقاء والرفاق وافقتُ على نشرها في كتاب أسميته أبطال العودة."[٦]

لقد حقق الأسرى عدة إنجازات بعد سلسلة من الخطوات النضالية على رأسها الإضراب عن الطعام. فإضراب سجن عسقلان في ١٩٧٠/٧/٥، يُعتبر أول نقطة تحول رئيسية في الحياة الثقافية داخل السجون، إذ تم في إثره إدخال الكتب التعليمية المدرسية، فضلاً عن عدد محدود من الكتب الثقافية الأخرى، وسُمح بتداول كتاب واحد للغرفة الواحدة التي تحتوي على أكثر من عشرين شخصاً، لأسبوعين فقط. وكانت إدارة السجن تتحكم في نوعية الكتب. ويذكر حاتم الشنّار، وهو أسير محرر من مدينة نابلس، أن "الأسرى تناوبوا بحماس ورغبة على تلك الكتب، وتناوبوا بالدور على قراءتها حتى ساعات الليل على الضوء الضئيل المتسلل من ممرات الأقسام."[٧]

كما خاض الأسرى في الفترة نفسها العديد من التجارب الثقافية والتعليمية، نذكر منها على سبيل المثال:[٨]

١ـ إذاعة "صوت العاصفة" في سجن بئر السبع، التي كانت عبارة عن إذاعة يبثها الأسرى داخل غرفهم يومياً عبر بوق كرتوني، وتبدأ بالقرآن الكريم. فالمقدم يتلو الآيات الأولى من سورة الفتح، ثم النشيد الوطني "بلادي"، ثم عزف موسيقي، ثم نشرة الأخبار، فالتحليل السياسي، تليه أناشيد وقصائد شعرية، ثم بعض البرامج الثقافية والعروض المسرحية.[٩]

٢ـ المدرسة التعليمية في سجن نابلس، والتي أشرف عليها تيسير قبعة وعادل سمارة وآخرون، وكان هدفها إعطاء دروس في محو الأمية وصفوف دراسية متنوعة بما فيها الثانوية العامة (التوجيهي)، وقد تمكنت نضالات الأسرى السابقة من انتزاع حق التقدم إلى امتحان التوجيهي.

٣ـ إعداد مجلات ونشرات تعبّر عن الرؤية السياسية والفكرية لمختلف التنظيمات الفلسطينية، منها مجلات "الثورة" و"العاصفة" و"الشرارة" و"الطريق" و"الهدف"، إلخ. وكانت توزَّع باليد وبشكل سري.

٤ـ افتتاح مكتبة عامة في كل سجن.

٥ـ تقديم امتحانات التوجيهي، وقد بدأ العمل بذلك في بعض السجون منذ سنة ١٩٧١.[١٠]

وفي ثمانينيات القرن الماضي، تابع الأسرى نضالهم لتطوير واقعهم الثقافي،[١١] فسُمح بإدخال

بعض الصحف الفلسطينية، بعد أن كانت توزَّع على الأسرى صحيفة "الأنباء" فقط، الناطقة بلسان إدارات السجون. وأخذ الأسرى على عاتقهم إدخال الكتب عبر الأهل وبالتعاون مع الصليب الأحمر، حتى احتوت مكتبة سجن جنيد العامة، في نابلس، على سبيل المثال على ٦٠٠٠ كتاب في أواخر الثمانينيات، فضلاً عن المكتبات الخاصة والمكتبات الفصائلية.[١٢] كما أُدخل بعض التحسينات في إثر إضراب جنيد الشهير في سنة ١٩٨٤، والتي أثَّرت بإيجابية في الواقع الثقافي، كالسماح بمذياع ترانزستور، وبالتنقل بين الأقسام.[١٣] ومع حلول أواسط الثمانينيات، كانت سجون الاحتلال قد خرَّجت العديد من الكوادر في مختلف المجالات الفكرية والثقافية،[١٤] وما إن شارف عقد الثمانينيات على الانتهاء حتى دخل الأسرى الفلسطينيون في تجارب اعتقالية جديدة عقب افتتاح الاحتلال الإسرائيلي لعددٍ من المعتقلات ومراكز التوقيف غير المركزية على خلفية اندلاع الانتفاضة الأولى في سنة ١٩٨٧، والتي كانت تختلف في كثير من النواحي عن السجون المركزية،[١٥] الأمر الذي كان يعني ابتكار الأسرى وسائل جديدة في الصمود والتصدي، ومنها النشاطات الثقافية.[١٦]

أمّا في تسعينيات القرن الماضي، فإن الحياة الاعتقالية دخلت مرحلة جديدة، وخصوصاً بعد أن اعتقل الاحتلال الإسرائيلي آلاف الفلسطينيين بحجة المشاركة في فاعليات الانتفاضة الأولى. وكان بين هؤلاء المعتقلين عدد كبير من المثقفين من أساتذة الجامعات والمعاهد الفلسطينية وخريجيها وطلابها، الأمر الذي أثَّر بشكل كبير في الحياة الاعتقالية، وعلى رأسها التجربة الثقافية. كما أن دخول أعداد متزايدة من كوادر الفصائل الفلسطينية الإسلامية ساهم في تنويع النشاطات الثقافية، ووفر زخماً للنقاشات الفكرية بين التيارات المتعددة.

وأدى السماح للأسرى بالانتساب إلى الجامعة المفتوحة في تل أبيب، وذلك في إثر إضراب سنة ١٩٩٢، إلى مدّ الواقع الثقافي داخل السجون ببعد إضافي، إذ استثمر الأسرى فعلاً هذا الإنجاز، وبدأوا بالالتحاق بالجامعة. وكان بين أوائل مَن انتسبوا إلى الجامعة المفتوحة في تل أبيب الأسير محمد الجبريني من مخيم عايدة قرب بيت لحم، ومن الذين أنهوا البكالوريوس في تسعينيات القرن الماضي الأسير زهير زيد من قرية بيتللو قرب رام الله.[١٧] كما ميَّز هذه المرحلة ازدياد عدد الأسرى الذين يكتبون في الصحف والمجلات المحلية.[١٨]

وتعرّض هذا "الانتعاش الثقافي" لمرحلة جزر بفعل عدة عوامل يأتي في مقدمها عاملان مهمان، أولهما محاولات انقضاض إدارات السجون على مكتسبات الأسرى من خلال فرض مزيد من العقوبات والقوانين التي تحدّ من حركة الأسرى وفاعلياتهم داخل السجون، بينما تمثل العامل الثاني في اتفاق أوسلو الذي أدى توقيعه إلى شعور الأسرى بأن حريتهم باتت في متناول اليد، ولذا، فإنهم اعتقدوا أن لا داعي إلى الالتزام بالبرنامج الجماعي اليومي، بما فيه من نشاطات ثقافية وغيرها. وقد أثَّر ذلك سلباً في الحياة الاعتقالية، وخصوصاً لدى مَن تأملوا بـ "عملية السلام" وما يُنتظر منها كالإفراج عن المعتقلين.[١٩] ومع توالي الإفراجات وخروج عدد من الكوادر التنظيمية والثقافية،[٢٠] وشعور باقي الأسرى بالإحباط كون الإفراجات لم تشملهم، فضلاً عن إقدام إدارات السجون على إعادة توزيع الأسرى من جديد على السجون المركزية، وحالة عدم الاستقرار التي أوجدتها الأوضاع الجديدة، فإن الحياة الثقافية تأثرت سلباً وبدرجة عالية.[٢١]

المشهد الثقافي في سجون الاحتلال الإسرائيلي خلال العقد الأخير[٢٢]

شهد العقد الأخير أحداثاً كبرى أثّرت في واقع الحركة الأسيرة، فقد دخل الفلسطينيون الألفية الثالثة بانتفاضة الأقصى التي اندلعت في أواخر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠ بعد انسداد مسار "عملية السلام". وكانت ردة فعل الاحتلال عليها عنيفة، إذ زَجّ بالآلاف من الفلسطينيين في سجونه التي زادت

على ثلاثين سجناً ومركز توقيف، كما شهدت تلك الفترة أحداثاً أُخرى على مستوى كبير من الأهمية انعكست بشكل أو بآخر على واقع الحركة الأسيرة، مثل الانتخابات البلدية والتشريعية، والانقسام الفلسطيني والحرب على غزة.

وحمل المشهد الثقافي داخل سجون الاحتلال في العقد الأخير صورتين متناقضتين، وإن تقاطعتا في بعض العوامل التي ساهمت في بروزهما، إذ شهدت الأعوام القليلة الماضية تراجعاً عاماً في القيم النضالية التي حكمت الحياة الاعتقالية طول العقود الماضية، الأمر الذي أثّر سلباً في مختلف نواحي الحياة الاعتقالية ومنها الناحية الثقافية. وفي المقابل، فإن الأوضاع الجديدة دفعت بعض أجزاء الجسم الاعتقالي إلى البحث عن أشكال مبتكرة للتفاعل الثقافي تستوعب التطورات وتحاول توظيف ما توفَّر من إمكانات لخلق مساحات للإبداع.

وازداد في الصورة الأولى حضور كل من الأنشطة الترفيهية والشخصية في وقت تراجعت الأنشطة الفكرية والجماعية، بينما تميزت الصورة الأُخرى ـ وهي منتشرة أيضاً بين قطاعات واسعة من الأسرى ـ بالاستماتة في الحفاظ على البرنامج الثقافي، فكان ملاحظاً حضور الإبداعي والجماعي، على حساب الترفيهي.

وكي نوضح الصورة بشكل أكبر، ونعكس تنوعها، مع ما حملته الألفية الجديدة من تغيرات سياسية ودخول الإنترنت والهواتف النقالة والفضائيات، فإننا نقول إنها تتسم بالتنوع والتناقض أحياناً. ويمكن أن نرصد عدة عوامل ساهمت بشكل كبير في هذا التغيّر في المحتوى الثقافي في سجون الاحتلال، نذكر منها:

١ـ استمرار حالة الإحباط واليأس التي خلفتها مرحلة التسعينيات، وترسّخ قيم جديدة بعيداً عن الفاعلية والجماعية والجدية التي كانت تميز الجسم الاعتقالي لعقود خلت، الأمر الذي أدى إلى توقف النشاط الثقافي الجماعي، وتحديداً في أوساط مَن أملوا بمشروع "عملية السلام".

٢ـ كان لانبعاث الأمل بقرب تحرير الأسرى بين الفينة والأُخرى أكان ذلك عبر المفاوضات، أم مبادرات "حسن النية" الإسرائيلية، أم عبر التبادل، أثر كبير في تعثر سير الحياة الثقافية، إذ كلما تجدد الأمل بإمكان التحرير توقف النشاط إلى حين. فعلى سبيل المثال، كاد الإفراج عن بعض الأسرى من سجن النقب ضمن مبادرات "حسن النية" الإسرائيلية يدفع في اتجاه تعطيل النشاطات الثقافية فترة من الزمن إلى حين استعادة الأسرى حيويتهم.

٣ـ أدى امتلاك الأسرى الهواتف النقالة وما ترتب على ذلك من تبعات إدارية وفنية وأمنية كالعمل المتواصل على توفير خدمة الاتصال وتوزيع أوقات الاتصال، وتوفير أماكن آمنة لإخفاء الهواتف، ومواجهة بعض المشاكل التقنية المتعلقة بسلامة عمل الهواتف، إلخ، دوراً في استنزاف طاقات الأسرى وإبداعاتهم بعيداً عن البرنامج الثقافي اليومي،[٢٣] فضلاً عن ردة فعل السجانين وما يترتب عليها من استفزازات متكررة للأسرى وتعكير سير برامجهم اليومية، إذ دأبت إدارات السجون على اتخاذ إجراءات قمعية للحدّ من هذه الظاهرة عبر التفتيش المستمر للزنزانات، ومعاقبة مَن يُضبط معه وسائل اتصال، إلخ. لكن إدخال الأجهزة الخلوية إلى السجون قدّم، من جهة أخرى، مساهمة إضافية نوعية إلى الحالة الثقافية والتعليمية، إذ سمح لكثير من الأسرى بالتواصل مع الجامعات الفلسطينية والاستعانة بشبكة الإنترنت سواء لمعرفة ما استجدّ في الساحتين الفكرية والثقافية، أو لنقل إبداعات الأسرى إلى الخارج تمهيداً لنشرها.

٤ـ علاوة على ذلك، أدت الفضائيات هي الأُخرى دوراً متنوعا في التأثير في العمل الثقافي، إذ كان كثيرون من الأسرى يفضلون قضاء ليلهم في السهر على ما تبثه هذه الفضائيات من برامج متعددة بما فيها الترفيهية، بينما يقضون نهارهم في النوم، الأمر الذي أثّر في مستوى النشاطات الثقافية. كما كان لدخول الفضائيات منذ سنة ٢٠٠٠، دور في تحفيز الحالة الثقافية عند بعض

مكونات الجسم الاعتقالي، وخصوصاً تلك التي تبث برامج ثقافية وفكرية وسياسية.

٥ـ الممارسات القمعية الممنهجة لإدارات السجون بحق الأسرى، والتي عطلت الحياة الثقافية، مثل سياسات العزل الانفرادي، والنقل التعسفي، والمصادرة المستمرة لإنجازات الأسرى الثقافية، ومنع النشاطات الثقافية بشكل كلي أو جزئي، والتفتيش المتكرر، وتوتير الأجواء الاعتقالية بشكل متعمد، وغيرها.

٦ـ اعتقال عدد كبير من المناضلين على خلفية مشاركتهم في الانتفاضة الثانية، وكان بينهم مجموعة كبيرة من أساتذة الجامعات وخريجيها وطلابها، وهؤلاء رفدوا الحياة الثقافية بعناصر فاعلة جديدة، وسنفصل مساهماتهم لاحقاً.

٧ـ تمكن الأسرى بفعل نضالهم اليومي من إدخال بعض التحسينات على أوضاعهم الاعتقالية التي كان لها الأثر الكبير في إنعاش الوضع الثقافي، مثل إدخال كميات كبيرة من الكتب. فعلى سبيل المثال، كان حظ سجن النقب كبيراً، إذ أُدخلت في أكثر من مناسبة خلال العقد الأخير، عبر الصليب الأحمر أو بعد اتفاق قادة الأسرى مع إدارة السجن، كميات كبيرة من الكتب، فضلاً عن قيام الأسرى بشكل فردي بإدخال مجموعة من الكتب خلال الزيارات.

٨ـ تصاعدت الأحداث بعد اندلاع الانتفاضة الثانية وبروز الأشكال النضالية الجديدة، وحملت التطورات السياسية التي شهدتها القضية الفلسطينية تأثيراتها، وخصوصاً بعد استشهاد الرئيس الراحل ياسر عرفات وإجراء الانتخابات البلدية والتشريعية وتعثّر المفاوضات، والحرب على لبنان، والحرب على غزة. وإحدى أهم نتائج هذه التطورات هو ما خلّفته من نقاش فكري وسياسي جدي ومعمق، داخل الأطر الفصائلية، أو بين الفصائل نفسها، أو بين الأفراد.

٩ـ أدى العامل الديني دوراً مهماً في مدّ الحراك الثقافي بالجدل داخل السجون، كما أنه كان عاملاً لدى قطاع كبير من الأسرى في إقبال لافت على الفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية. وتتحفظ هذه الفئة بصورة عامة، على ما تبثّه القنوات الفضائية من برامج فنية وترفيهية.

أشكال النشاطات الثقافية والفكرية والتعليمية

بداية، لا بد من التشديد على أربع نقاط أساسية قبل تناول أشكال النشاطات الثقافية للأسرى خلال العقد الأخير، وهذه النقاط هي:

تكمن الأولى في أننا لا يمكن أن نعمم مشهداً ثقافياً واحداً داخل سجون الاحتلال، إذ إن بعض مكونات الجسم الاعتقالي يخلو من أي نشاطات ثقافية إلاّ على المستوى الفردي، بينما تشهد مكونات أخرى حيويةً ملحوظة في المشهد الثقافي.

تتمثل النقطة الثانية في عدم التركيز على تجربة ثقافية واحدة لفصيل فلسطيني واحد، وإنما الحديث هنا هو عن الكل الاعتقالي.

أمَّا النقطة الثالثة فهي أن العقد الأخير شهد تطوراً كبيراً في مناخ عام كسر الحواجز بين مختلف مكونات الجسم الاعتقالي، فقد غابت الضوابط التنظيمية التي كانت تحدّ من التواصل الثقافي والنقاش الفكري المعمق بين الأسرى من مختلف الفصائل.

رابعا وأخيراً، لا بد من التشديد على أن النشاطات الثقافية داخل السجون ليست اعتباطية عادة، وإنما تسير في الأغلب وفق خطة منهجية. وقد اعتادت الفصائل الفلسطينية المكونة للجسم الاعتقالي رسم خطة فصلية تتضمن الفاعليات الثقافية المنوي تنفيذها.

يمكن إجمال الفاعليات الثقافية خلال العقد الأخير بالآتي:

١ـ إقامة المحاضرات المتنوعة في مختلف العناوين السياسية والفكرية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، والتي يُشرف عليها محاضرون مختصون من داخل الجسم الاعتقالي. وقد أدى امتلاك الأسرى لوسائل اتصال في سجنَي النقب وعوفر، على الرغم من أن إدارة السجنين منعت

ذلك، إلى قيام الأسرى بعقد عشرات الندوات الفكرية والسياسية والدينية التي شارك فيها عبر الهاتف مفكرون وسياسيون من فلسطين وخارجها.[٢٤]

٢ـ عقد الدورات المتعددة مثل دورات اللغات، وتحديداً الإنجليزية والعبرية، ودورات التفكير الإبداعي وتطوير المهارات وإعداد الكادر، ودورات الخط العربي، ودورات محو الأمية، والدورات ذات الطابع الديني، مثل تجويد القرآن وعلم القراءات والتفسير والفقه والحديث وغيرها.[٢٥]

٣ـ برامج القراءة الذاتية الملزمة، إذ يتم تحديد ساعات معينة في اليوم للقراءة الفردية للجميع، يتوفر فيها أجواء الهدوء داخل الغرف أو الخيام، ولا يُسمح فيها بأي نشاطات أخرى.

٤ـ إقامة نوادي قرّاء يعرض فيها الأسير قراءاته النقدية للكتاب أمام جميع الأسرى، ثم يُفتح الباب للنقاش.

٥ـ إعداد مجلات أو نشرات توزع باليد، أو تُعلَّق على الحائط، وتشمل مساهمات ثقافية للأسرى، أو ما يتم اقتباسه من شبكة الإنترنت، أو من الكتب، أو ترجمات من الصحف العبرية. ومن الملائم هنا الإشارة إلى أن هذا الشكل من النشاط الثقافي ساهم ـ ولا يزال ـ في إيجاد نخب من الكتّاب والمترجمين يعمل كثيرون منهم ممّن تحرروا في مراكز أبحاث وصحف فلسطينية وعربية.

٦ـ الالتزام بمشاهدة البرامج الثقافية التي يبثها بعض الفضائيات، وغالباً ما يكون هذا النشاط طوعياً، وبعد انتهاء النشاط الثقافي اليومي الإلزامي.

٧ـ تمثيل المسرحيات التي تُعرض في الغرف أو في ساحات الفورة (خارج الزنزانات).

٨ـ تنظيم مسابقات ثقافية متنوعة مثل مسابقات في المقالة السياسية، أو إعداد الأبحاث في بعض الموضوعات الفكرية أو السياسية. وتُرصد لهذه نشاطات جوائز رمزية توزَّع في أجواء احتفالية.

٩ـ تقديم امتحانات التوجيهي سنوياً، ما لم تمنع إدارات السجون ذلك.

١٠ـ تنظيم مسابقات حفظ القران والحديث النبوي. وقد أولى الأسرى هذا النوع من المسابقات اهتماماً خاصاً، إذ أفرزوا لجنة خاصة من الأسرى لها ممثلون في كل السجون، وتقوم بالإشراف على المسابقات والتواصل مع وزارة الأوقاف الفلسطينية لإصدار شهادات تقدير رسمية للحفظة.

* * *

أمَّا فيما يتعلق بالفاعليات الثقافية ذات البعد الفردي، فيمكن رصد الآتي:

١ـ القراءة الفردية، أكان ذلك من مكتبات الأقسام العامة، أم المكتبات الخاصة، أم المكتبات الفصائلية، أم شبكة الإنترنت.[٢٦]

٢ـ الكتابة والتأليف: شهد العقد الأخير ازدياداً في ظاهرة الكتابة والتأليف، وتعددت أشكالها من خاطرة وشعر، إلى قصة قصيرة ورواية، إلى مقالات سياسية وفكرية. وعلى الرغم من الصعوبة التي يواجهها الأسرى في الاحتفاظ بأملاكهم الفكرية وإبداعاتهم المتنوعة، فإن عملية النشر توسعت بشكل كبير، وخصوصاً في النصف الثاني من العقد الأخير، إذ ظهر العديد من الأقلام الجديدة. وأود هنا الإشارة إلى عدة عوامل ساهمت في تنشيط حركة التأليف والنشر، منها: النقلة النوعية التي حدثت لدى النخب المثقفة داخل السجون، سواء عبر رفدها بطاقات جديدة من الخارج بعد اندلا ع انتفاضة الأقصى، أو عبر تراكم الخبرات الثقافية نتيجة جهد فكري ونشاط ثقافي استمرا أعواماً طويلة، كما أن دخول شبكة الإنترنت إلى بعض السجون ساهم بشكل كبير في زيادة ثقافة الأسرى وتسهيل مهمة نقل إبداعاتهم الثقافية ونشرها عبر المواقع الإلكترونية. وكان لبعض الصحف والمجلات دور السبق في احتضان هذه الإبداعات، مثل صحيفة "القدس" التي تُعتبر، ومنذ أعوام، رائدة في نشر مساهمات الأسرى الإبداعية سواء في مجال المقالات السياسية والفكرية والدينية أو القطع الأدبية، وهناك بعض المراكز البحثية والمؤسسات الثقافية الفلسطينية التي بدأت،

ومنذ فترة وجيزة، بنشاط واضح يستهدف نشر ما يصلها من إبداعات الأسرى، نذكر منها على سبيل المثال: مؤسسة فلسطين للثقافة؛ مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة التابع لجامعة القدس؛ مركز بيت المقدس للأدب؛ نادي الأسير الفلسطيني وغيرها. أمَّا على الصعيد الرسمي فقد أظهرت وزارة الثقافة الفلسطينية اهتماماً بنشر بعض إبداعات الأسرى، لكن هذا الاهتمام اتسم بالموسمية والمحدودية، كما أن معظم ما نشرته الوزارة، على محدوديته، هو لأسرى محررين وليس لأسرى ما زالوا معتقلين.

ومن الأمثلة على الإبداعات الفكرية والأدبية للأسرى في العقد الأخير، الروائي الأسير المحرر، وليد الهودلي، الذي يُعدّ من أكثر الأسرى إنتاجاً أدبياً، إذ كتب ـ خلال العقد الأخير ـ أكثر من ثلاثة عشر عملاً إبداعياً منشوراً، تضمنت أربع روايات وأربع مجموعات قصصية وثلاث دراسات ومئات المقالات الصحافية . وذكر الناقد الأدبي عادل الأسطة، في محاضرة له في ٢٠١١/٦/١٤، على هامش احتفالية وزارتَي الأسرى والثقافة الفلسطينيتين بإطلاق سلسلة جديدة من أدب السجون، أن الروائيَّين وليد الهودلي الذي اعتُقل عدة مرات وأمضى في الأسر أكثر من خمسة عشر عاماً وأفرج عنه آخر مرة في سنة ٢٠٠٩، وعائشة عودة التي أمضت في الأسر عشر سنوات خلال الفترة ١٩٦٩ـ ١٩٧٩، هما الوحيدان بين عشرات الكتّاب والمؤلفين الأسرى اللذان تمكّنا من امتلاك عناصر الرواية في أعمالهما الإبداعية. وذكر الروائي وليد الهودلي أنه كتب جل أعماله وهو في الأسر، وقد بيع من روايته الشهيرة "ستائر العتمة" أكثر من ٤٠,٠٠٠ نسخة في فلسطين.

وصدر للأسير باسم الخندقجي أيضاً، ثلاثة دواوين من الشعر، وللأسير حسن فطافطة روايتان، بينما صدر للأسير النائب مروان البرغوثي كتابان أحدهما بالاشتراك مع كاتب آخر. وصدر للأسير محمد ناجي صبحة كتابان، وغيرهما من كتب صدرت عن الأسرى.

أمّا فيما يتعلق بالدراسات الجامعية، فعلى الرغم من أن الأسرى لم يتمكنوا حتى الآن من انتزاع حقهم الكامل في التعليم، وهو حق يضمنه القانون الإنساني الدولي، فإن ظاهرة الالتحاق بالجامعة المفتوحة في تل أبيب في العقد الأخير، والذي انتزعه إضراب أيلول/ سبتمبر ١٩٩٢، اتسعت، لكن إسرائيل حصرته في الجامعة المفتوحة من دون حق الانتساب إلى الجامعات العربية، فتحايل بعض الأسرى على ذلك بطرق متنوعة مع تعاون بعض الجامعات الفلسطينية. وبحسب صحيفة "هآرتس" الصادرة في ٢٠١١/٦/٢٧، فإن عدد الأسرى الفلسطينيين المسجلين في الجامعة المفتوحة وصل إلى ٢١٠ أسرى، التحق قسم منهم ببرامج البكالوريوس والماجستير المسموح بها مثل "مقدمة لتاريخ الشرق الأوسط في العصر الحديث"، و"الإبادة الجماعية"، و"التصور الأساسي للعلاقات الدولية"، و"المجتمع العربي الإسرائيلي"، و"الإسلام: مقدمة لتاريخ الأديان".[٢٧] وتمكّن عدد من الأسرى من نيل شهادة البكالوريوس، بينما نال آخرون شهادة الماجستير.[٢٨] وتكمن الإضافة الجديدة في مجال الدراسة الجامعية في تمكّن الأسرى الفلسطينيين من التواصل مع بعض الجامعات الفلسطينية، الأمر الذي سمح لبعضهم باستكمال دراساتهم العليا. فعلى سبيل المثال، شهد سجن عوفر في سنة ٢٠٠٣، مناقشة رسالة للماجستير عبر الهاتف النقال للطالب الأسير رشيد نضال صبري من رام الله بالتعاون مع جامعة بير زيت.

وأخيراً أود الإشارة إلى تمكّن أربعة من الأسرى من حيازة شهادات الدكتوراه من داخل الأسر، وهم ثلاثة من النواب وأحد رؤساء المجالس المحلية، إذ كان الأسير النائب ناصر عبد الجواد أول أسير فلسطيني يحوز شهادة الدكتوراه في أثناء أسره في سجن مجدو، وكانت رسالته بعنوان "نظرية التسامح الإسلامي مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" وذلك في سنة ٢٠٠٥.[٢٩]

من أجل واقع ثقافي وتعليمي أفضل للأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي

أعتقد أن النخب الثقافية داخل سجون الاحتلال هي الأقدر على وضع استراتيجيات ملائمة للنهوض بالواقع الثقافي، لكن جزءاً من المسؤولية يقع على مَن هم في الخارج، أكان ذلك مؤسسات رسمية، أم أهلية، أم ناشطين.

ومن الضروري الالتفات إلى قضية الأسرى في أبعادها الفلسطينية والعربية والدولية، ذلك بأنها لا بد من أن تأخذ بعدها الدولي في الجامعات والمؤسسات الثقافية والحقوقية من جهة عبر الإضاءة على ما يعانيه الأسرى جرّاء إجراءات عقابية ضد حقوقهم الثقافية والتعليمية بشكل يتنافى مع القانون الإنساني الدولي، وعبر دعم هذه المؤسسات ثقافياً وتعليمياً لهم، أو أن يكونوا رافداً في حملة المقاطعة الدولية الثقافية لإسرائيل من جهة أُخرى. وعلى المستوى الفلسطيني، يمكن العمل على عدة مستويات والقيام بجملة من الخطوات الهادفة إلى احتضان نتاجات ما يكتبه وينتجه الأسرى، وهذه أفكار يجب مناقشتها، إذ من الضروري تعزيز العمل على نشر نتاج الأسرى الثقافي وتوثيقهم لتجاربهم وأعمالهم البحثية، فثمة ضرورة لتفعيل نشر هذا النتاج عبر المؤسسات الثقافية والفكرية ودور النشر، ومن خلال تكامل بينها وبين وزارتَي الأسرى والثقافة من جهة، وبعض المؤسسات المعنية بالأسرى من جهة أُخرى. ومن الأفكار الأُخرى الممكنة تأسيس مجلة تهتم بنتاج الأسرى، وتخصيص جائزة سنوية لكتابات الأسرى، وتضمين المناهج الدراسية نصوصاً مما كتبه الأسرى عن تجاربهم أو نتاجهم الثقافي، واعتماد مواد داخل الجامعات الفلسطينية تناقش التجربة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين، وإنشاء موقع إنترنت يهتم بنتاج الأسرى.

أمَّا فيما يتعلق بجهود وزارة التربية والتعليم العالي، فإنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب، وإنما على العكس، ماطلت في موضوع معادلة شهادة الأسير الصادرة عن الجامعة المفتوحة في تل أبيب حتى سنة ٢٠١١، بحجج متنوعة، كما أنها تأخرت في تسهيل دراسة الأسرى في الجامعات الفلسطينية.[٣٠]

ومن المهم عدم اقتصار إدخال الكتب على الصليب الأحمر أو أهل الأسرى وبعض المؤسسات، بل من الضروري تنسيق الجهود بين جميع المعنيين في هذا الأمر.

الخاتمة

لقد واجه الأسرى منذ أول أيام الاحتلال، ولا يزالون، سياسة قمعية تستهدف النيل من إرادتهم، وتحطيم معنوياتهم، في محاولة نقلهم من حالة المقاومة إلى حالة الهزيمة والاستسلام، بينما كانت برامج الأسرى الثقافية، في المقابل، أحد التعبيرات الفعلية لمقاومتهم الرافضة للسجان وسياساته. فالأسرى تمكنوا من فرض مشهدهم الثقافي بفعل نضالهم الطويل والمتواصل على مدى عقود من الزمن، وقدموا من أجل ذلك ٢٠٢ شهيد منذ احتلال سنة ١٩٦٧،[٣١] بل إنهم حققوا إنجازات جعلت من سجون الاحتلال مدارس وجامعات تخرِّج أسرى بارزين ثقافياً وسياسياً. ولا يحتاج الإنسان إلى جهد كبير كي يعدد قائمة طويلة من هذه النخب السياسية التي تشارك الآن في صوغ حاضر الشعب الفلسطيني ومستقبله.

لكن مرحلة جديدة شهدها الحراك الثقافي داخل سجون الاحتلال في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي، اتسمت بالتعثر في الحالة الثقافية والتدهور في القيم، وذلك بفعل عدة عوامل يأتي في مقدمها "اتفاق أوسلو". وفي المقابل تمسكت القوى الفاعلة داخل الأسر، من جميع الاتجاهات، بالإرث الثقافي للحركة الأسيرة، وحاولت رفده بكل ما هو جديد وخلاق، الأمر الذي أوجد صورتين متناقضتين داخل التجربة الاعتقالية تحكمتا في

المشهد الثقافي حتى وقتنا هذا.

أعتقد أن قضية الأسرى تحتل مكانة كبيرة في قلوب الفلسطينيين وعقولهم، ولا يستطيع المرء أن ينكر وجود تصاعد في وتيرة الاهتمام بقضية الأسرى خلال الأعوام القليلة الماضية، لكن هذه المحبة وهذا الاهتمام لم يترجما بالشكل المطلوب في أجندات الفلسطينيين السياسية، وفاعلياتهم الوطنية، ونشاطاتهم الثقافية والفكرية. ونحن في انتظار حدوث النقلة النوعية التي تعبّر بصدق عما يكنّه الشعب الفلسطين لأبطاله القابضين على الجمر في سجون الاحتلال. ■

المصادر

١ امتلك بعض رواد الحركة الأسيرة في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته تجارب ثقافية سابقة داخل سجون الانتداب البريطاني والسجون العربية، الأمر الذي أفاد لاحقاً في سرعة إنجاز الملامح الأساسية للحياة الثقافية داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي.

٢ محمد لطفي ياسين خليل، "التجربة الاعتقالية في السجون الإسرائيلية" (عمّان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، ١٩٨٨)، ص ١٠٢.

٣ بدأ الجيش والأجهزة الأمنية الإسرائيلية باستهداف الفلسطينيين عبر الاعتقال بعد النكبة مباشرة، إذ جرى اعتقال العديد من الناشطين الفلسطينيين داخل الخط الأخضر، واللاجئين الفلسطينيين الذين حاولوا الوصول إلى بيوتهم، أو بعض مَن بدأوا بالتحضير للعمل الفدائي، لكن التجربة اتسمت بالمحدودية من ناحية أعداد المعتقلين وطول فترة الاعتقال مقارنة بالتجربة الاعتقالية بعد سنة ١٩٦٧. ومن المهم الإشارة إلى أن هذه التجربة تعاني قلة التوثيق والتأريخ.

٤ بشأن أوضاع سجون الاحتلال خلال سبعينيات القرن الماضي، انظر: حاتم إسماعيل الشنار، "خمس نجوم تحت الصفر: خلاصات في مقاومة الأسر، عسقلان ١٩٦٩–١٩٨٥" (رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠١٠)؛ عيسى قراقع، "الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣– ١٩٩٩" (بير زيت: جامعة بيرزيت، معهد الدراسات الدولية، ٢٠٠١)، ص ٢٧– ٢٨.

٥ مقابلة مع الأسير المحرر عباس الحاج صالح، برنامج "يوميات أسير فلسطيني"، قناة تلفزيون "القدس التربوي"، ٢٠٠٨/٤/١٥.

٦ عبد الرحيم أمين جابر، "مواجهة الاعتقال: أسطورة النضال الفلسطيني" (رام الله: المؤسسة الفلسطينية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص١٠٥.

٧ الشنّار، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

٨ يتناول كتاب حاتم الشنار، مصدر سبق ذكره، في الفصلين العاشر والحادي عشر، تطور الحياة الثقافية داخل سجن عسقلان بما فيها النواحي التعليمية والمطالعة والكتابة الصحافية.

٩ حلمي إبراهيم محمد عنقاوي، "المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان" (رام الله: مطبعة الغد، ١٩٩٥)، ص ٣١٧.

١٠ خليل، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢.

١١ كان لظهور الجماعة الإسلامية داخل السجون، وخصوصاً بعد الازدياد الطفيف في أعداد منتسبيها في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، أثر كبير في إثراء التجربة الثقافية للمعتقلين، إذ بدأت الجماعة في تلك الفترة بإعداد منهجها الخاص في التثقيف والتعليم. ولمزيد من المعلومات بشأن التثقيف عند الجماعة الإسلامية داخل السجون، انظر: طاهر عدوان، "الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة القائد .. والداعية المجاهد" (غزة: مركز أبحاث المستقبل، ٢٠٠٤)، ص ٣٧ – ٤٠.

١٢ مقابلة مع قدورة فارس رئيس نادي الأسير الفلسطيني، بتاريخ ٢٠١٠/٦/١٨.

١٣ خليل، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

١٤ يورد الكاتب حسن عبد الله في مقالته "إبداعات أشعلت النور في الغياهب المظلمة: تجربة المعتقلين الثقافية والإبداعية لم تأخذ حقها من التوثيق والتحليل والنقد" أسماء العشرات من الكوادر والنخب الفلسطينية الفكرية والثقافية التي خاضت التجربة الثقافية في سجون الاحتلال الإسرائيلي في سبعينيات القرن الماضي وبداية ثمانينياته، والتي أصبح لها مكانة في المشهد الثقافي في فلسطين وخارجها. انظر: الموقع الإلكتروني للكاتب حسن عبد الله: http://hasanabdallah.com

١٥ سمحت طبيعة المعتقلات التي أنشاها الجيش الاسرائيلي بعد اندلاع الانتفاضة الأولى في سنة ١٩٨٧ مثل معتقلات النقب وعوفر ومجدو، والتي كانت عبارة عن خيام موزعة على ساحات واسعة، بالتواصل بين المعتقلين بشكل أسهل مما كان عليه الوضع في السجون المركزية. كما تمكن الأسرى من تحقيق الإنجازات بشكل أسرع، الأمر الذي أثّر بشكل إيجابي في الحياة الثقافية داخل المعتقلات.

١٦ لمزيد من المعلومات بشأن الواقع الثقافي في المعتقلات في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، وتحديداً معتقل النقب، انظر: ناصر دمج ، "أنصار: شاهد على عصر الجريمة" (رام الله: مطبعة أبو غوش، ط٣، ٢٠٠٥)؛ المتوكل طه، "رمل الأفعى: سيرة كتسيعوت، معتقل أنصار ٣" (رام الله: منشورات بيت المقدس، ٢٠٠١).

١٧ فارس، مصدر سبق ذكره.

١٨ بشأن تجربة بعض الأسرى في الكتابة الصحافية في تسعينيات القرن الماضي انظر: عماد الفالوجي، "درب الأشواك: حماس .. الانتفاضة .. السلطة" (رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢)، ص١٨٦– ٢٠٦.

١٩ بشأن آثار اتفاق أوسلو السلبية في حياة المعتقلين الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال، انظر: قراقع ، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥– ٦٠.

٢٠ يذكر قدورة فارس أنه أخرج معه من سجن جنيد في سنة ١٩٩٤ الكراسات التنظيمية، وذلك لاعتقاده بقرب خروج الأسرى، ولخوفه على ضياعها.

٢١ أدت الفصائل الفلسطينية الإسلامية بعد توقيع اتفاق أوسلو دوراً محورياً في ترميم النشاطات الثقافية والحفاظ عليها.

٢٢ اعتمدتُ في الحديث عن المشهد الثقافي داخل السجون في العقد الأخير على عدة مصادر منها تجربتي الشخصية ومشاهداتي اليومية، إذ إنني اعتُقلت إدارياً عدة مرات ولخمس سنوات في أثناء الفترة ٢٠٠٢– ٢٠٠٩، كما أنني تنقلت خلال تلك الفترة بين عدة سجون.

٢٣ كان للهواتف النقالة بعض الآثار الاجتماعية السلبية مثل الخصومات بين الأسرى الناتجة من تحديد وقت الاتصال ومدته لكل أسير، وبعض انعكاسات الأوضاع الأسرية خارج السجن على الأسير نفسه.

٢٤ ضم سجنا النقب وعوفر خلال العقد الأخير عدداً كبيراً من الأسرى تراوح ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ أسير. وكانت تقام الندوات داخل أقسام من الخيام المتلاصقة، الأمر الذي وفر للأسرى فرصة أكبر للتواصل وإقامة النشاطات الثقافية. لكن مشاركة محاضرين من الخارج عبر الهاتف توقفت منذ سنة ٢٠٠٨ بفعل تصاعد عمليات القمع وإجراءات التفتيش التي قامت بها إدارات السجون.

٢٥ من المشاهد البطولية ثقافياً وتعليمياً ما ذكره الأسير النائب مروان البرغوثي في كتابه الأخير: "ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي" من أن زنزانته في أثناء وجوده في العزل الانفرادي كانت تطل على ساحة الفورة التي يخرج إليها الأسرى فرادى ساعة كل يوم، وأنه كان يعطي دروساً في تعلم اللغة العبرية لعدد من الأسرى عبر نافذة زنزانته ولعدة أشهر. وقد تمكن عدد من الأسرى من إكمال الكتاب التعليمي الأول بهذه الطريقة، بينهم عبد الله البرغوثي ونزار رمضان وأحمد المغربي. انظر: مروان البرغوثي، "ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي" (رام الله : دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ١١٥– ١١٦.

٢٦ تُعتبر المطالعة الذاتية في زنزانات العزل الانفرادي، على سبيل المثال، من أهم النشاطات اليومية التي يقوم بها الأسير، وهي تحمل من الدلالات ما يتجاوز كونها ممارسة للتثقيف الذاتي. ولمزيد من الاطلاع على تجارب الأسرى المعزولين الثقافية، انظر: المصدر نفسه، ص ١٣١– ١٤٨.

٢٧ صحيفة "هآرتس"، ٢٠١١/٦/٢٧. وتذكر الصحيفة في العدد نفسه أن الأسرى الفلسطينيين ما زالوا محرومين من دراسة كثير من الموضوعات والبرامج الجامعية.

٢٨ بشأن الصعوبات التي يواجهها الأسرى في قضية التعليم الجامعي، انظر: مروان البرغوثي وآخرون، "مقاومة الاعتقال" (فلسطين: شركة مؤسسة الأيام، ٢٠١٠)، ص١٧٧. ومن الأسرى الذين حازوا شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية: الأسير زاهر جبارين من سلفيت؛ الأسير محمد حمدية من غزة؛ الأسير عثمان مصلح من الزاوية؛ الأسير عوض سلمية من الخليل؛ الأسير محمود مرداوي من حبلة؛ الأسير عبد الحكيم حنني من بيت دجن؛ الأسير جهاد بنى جامع من عقربة؛ الأسير مجدي عمرو من دورا؛ الأسير عثمان حسن من جنين؛ الأسير عزت السعدي من جنين؛ الأسير نعمان الشلبي من جنين؛ الأسير عادل حامد من غزة. كما حصل الأسير مؤيد الجلاد من طولكرم على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال، بينما حصل الأسيران رأفت حمدونة وفريد قديح من قطاع غزة ـ وهما محرران الآن ـ على البكالوريوس في علم الاجتماع والعلوم الإنسانية. وهناك عدد آخر من الأسرى المحررين من الضفة الغربية ممن أنهوا دراستهم في أثناء الاعتقال من الجامعة نفسها، أمثال: الأسير المحرر سامي حسين؛ الأسير المحرر مهند العناتي؛ الأسير المحرر صلاح حبوب؛ الأسير المحرر زهير حمد الله وآخرين؛ وكذلك الأسير المحرر اللبناني سمير القنطار.

أمّا الأسرى الذين أنهوا الماجستير في سجون الاحتلال فنذكر منهم: الأسير عبد الرحمن شهاب من غزة؛ الأسير تيسير البرديني من غزة؛ الأسيرين سعيد سرساوي وعلي عامرية من إبطن؛ الأسير محمود سرور من مخيم عايدة؛ الأسير موسى عكاري من مخيم شعفاط؛ الأسير ياسر حجاز من المزرعة الشرقية؛ الأسير مخلص برغال من اللد؛ الأسير وليد دقة من باقة الغربية؛ الأسير محمد إغبارية من أم الفحم؛ الأسير محمد زغلول من رام الله؛ الأسير عبد الناصر عيسى من مخيم بلاطة؛ الأسير جلال رمانة من مخيم الأمعر؛ الأسير محمد كميل "الرشق" من قباطية؛ الأسير علي العمودى من غزة. وتكمن الإضافة الجديدة في مجال الدراسة الجامعية في تمكّن الأسرى الفلسطينيين من التواصل مع بعض الجامعات الفلسطينية، الأمر الذي سمح باستكمال بعض الأسرى دراساتهم العليا، وقد شهد سجن عوفر في سنة ٢٠٠٣، مناقشة رسالة للماجستير عبر الهاتف النقال للطالب الأسير رشيد نبري من رام الله بالتعاون مع جامعة بير زيت، وكانت رسالته في إدارة الأعمال بعنوان "إدارة الجودة في الصناعات الفلسطينية للبرمجيات". أمَّا سجن عسقلان فشهد في سنة ٢٠٠٤ مناقشة رسالة الطالب وائل عبد الله أبو محيي الدين بالتعاون مع جامعة النجاح، وكذا الطالب عبد الله طحاينة من الجامعة نفسها. وشهد سجن عوفر في سنة ٢٠٠٦ مناقشة رسالة الطالب طارق عبد الكريم فياض بالتعاون مع جامعة القدس، وكانت رسالته بعنوان: "تأثير الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي" (صحيفة "الشرق الأوسط"، ٢٠٠٨/١٠/٥).

٢٩ حاز الأسير النائب حاتم قفيشة درجة الدكتوراه في سجن النقب، وكانت رسالته بعنوان "تآكل قوة الردع الإسرائيلية" (٢٠٠٩)، وحاز الأسير النائب مروان البرغوثي درجة الدكتوراه في سجن هَدَريم عن رسالته "الأداء التشريعي والرقابي والسياسي للمجلس التشريعي وإسهامه في العملية الديمقراطية: تجربة المجلس التشريعي الفلسطيني ١٩٩٦– ٢٠٠٨" (٢٠١٠)، وحاز الأسير عبد الحافظ غيظان رئيس مجلس قروي قبيا على درجة الدكتوراه في الإدارة العامة تخصص إدارة مؤسسات، في سجن النقب عن رسالته "التخطيط الاستراتيجي: قبيا نموذجاً" (٢٠١٠).

٣٠ تم مؤخراً الاتفاق مع جامعة القدس المفتوحة على اعتماد تسجيل الطلبة الأسرى في الجامعة في حالة توفر كادر أكاديمي داخل المعتقل، وهذا ما يُعمل به حالياً في سجن النقب. انظر: فارس، مصدر سبق ذكره.

٣١ http://www.palestinebehindbars.org/ferwana25ap2011.htm